مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 02 السنة 2021 ص 312 - 328

تاريخ الإرسال: 2020/01/30 تاريخ القبول: 2020/05/17
تاريخ النشر: 2021/04/30

في أدبيّة النّصّ الإجازي .إجازة الشيخ أحمد زرّوق البُداوي للشّيخ أبي فارس البلبالي واستدعاؤها أنموذجاً.

In the Literariness of the Ijazi Text (Cheikh Abu El Abbas Ahmed Elboudaoui's Permission (Ijaza) for his Student Cheikh Abu Fares Mohamed Abdelaziz Elbelbali, and its Invitation as a Sample)

عبد الرحمن بن حسان، عبد القادر اقصاصي
جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، benhassane@univ-adrar.dz
جامعة أحمد دراية أدرار(الجزائر)، gsassi75@gmail.com
مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، جامعة أحمد دراية ،أدرار.

الملخص:

يعتبر النَّصّ الإجازي من النّصوص التي عرفها التراث العلمي العربي، لكنّه لمّا كان مقصورا على المجيز والمجاز لأداء وظيفة معينة، وهي الشّهادة بالكفاءة لتحمّل علم من العلوم، جعله لا يجد اهتماما واسعا من النقّاد والدّارسين في الحقل الأدبي ذلك الاهتمام الذي وجدته أنواع أخرى من الكتابات، حتى توهم البعض أنه لا علاقة لهذا النّوع من الكتابة بالأدب وإنما هو من تخصص العلوم الشّرعية أو علم التاريخ .

ومن أجل تسليط الضوء على هذا النوع من الكتابة، وتبيين انتماء بعض أنواعه إلى الحقل الأدبي، وشد انتباه الباحثين إليه، يأتي هذا المقال للتّعريف به وللكشف عن الأجزاء التي يتكوّن منها، وعن جوانب من بنيته اللغوية من خلال دراسة لنص

إجازي شعري متكون من استدعاء وإجازة يعودان لفقيهين من فقهاء إقليم توات الجزائري، وهما الشّيخ أبو العباس أحمد زرّوق البُداوي(ت 1244هـ) وتلميذه الشّيخ أبوفارس محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي (ت1261هـ) .

الكلمات المفتاحية: أدبية الإجازة . النص الإجازي . الإجازة الأدبية

Abstract:

The Ijazi Text is one of the texts known to the Arab scientific heritage. For years, it was limited to the teacher (sheikh) and his student. Because of its limitations, i.e a mere certificate that allows the student to narrate on behalf of the sheikh, literary critics were not invested in it, contrary to poetry and prose. Thus, the Ijazi Text was rendered as having nothing to do with literature, but rather limited to Islamic or history studies.

This article attempts to shed light on the Ijazi text, and to highlight the fact that it is indeed part of the literary field. Moreover, it also aims at garnering more attention to this type of writing from literary critics and scholars. The text chosen for this study was by two scholars from the Touat region in Algeria: Cheikh Ahmed Zarrouk Elboudaoui (1244H) and his student Cheikh Mohamed Abdelaziz Elbelbali(1261H).

Keywords: The literariness of the Ijaza, The Ijazi text, The literary Ijaza.

المؤلف المرسل:عبد الرحمن بن حسان، BENHASSANE@UNIV-ADRAR.DZ

1.مقدمة:

يعد النَّصّ الإجازيّ من أنواع الكتابة التي عرفها التّراث العلمي العربي، ولمّا كان مقصورا على فئة مخصوصة، وهم الروّاة في شتى العلوم، وعلى طرفين

أساسيين، وهما المجيز والمجاز، لأداء وظيفة معينة، هي الشهادة بالكفاءة لتحمّل علم من العلوم، إضافة إلى ما يشتمل عليه من مصطلحات الإسناد والتّحديث غالبا جعله لا يجد اهتماما واسعا من النقّاد والدّارسين في الحقل الأدبي، ذلك الاهتمام الذي وجدته أنواع أخرى من الكتابات، حتى توهم البعض أنه لا علاقة لهذا النّوع من الكتابة بالأدب، وإنّما هو من تخصّص العلوم الشّرعية أو علم التّاريخ .

ومن أجل تسليط الضّوء على هذا النّوع من الكتابة، وتبيين انتماء بعض أنواعه إلى الحقل الأدبي يأتي هذا المقال محاولا القيام بتلك المهمة، خلال مقاربة نصية لنص إجازي بين عالمين فقيهين من فقهاء إقليم توات(ولاية أدرار. الجزائر) وهما الشيخ أحمد زروق البُداوي وتلميذه الشيخ أبو فارس محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن البلبالي رحمهما الله تعالى .

2. تعريف النَّصّ الإجازي:

يتكوّن النّصّ الإجازي من جزئين، يسمّى أحدهما(الإجازة) ويسمىّ الثاني (الاستجازة) أو(الاستدعاء) ويطلق عليهما معا(النّصّ الإجازي) ولماّ كان طلب الشّيء موقوفاً على معرفته أوّلاً، فإن البدء يكون بتعريف الإجازة قبل استدعائها.

1.2 . تعريف الإجازة.

1.1.2.الإجازة لغةً: مصدر أجاز يجيز إجازةً، مشتقة من التّجوّز والتّعدّي، وقيل مأخوذة من "جواز الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث، يقال منه : استجزت فلانا فأجازني، إذا أسقاك ماءً لأرضك أو ماشيتك".[1] فطالب الماء ليسقي أرضه أو ماشيته يسأل تعدية ماء غيره." فكذالك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزَه إياه" [2] وقيل مأخوذة من" أجزت الموضع سرت فيه وأجزته، خلّفته وقطعته وأجزته نفذته ".[3]

2.1.2.اصطلاحاً: تعرَّف الإجازة عند علماء الحديث ومن يسلك سبيلهم في الاعتماد على الرّواية من فقهاء، وعلماء، وأدباء، بما نقله الإمام السّيوطي (ت911هـ) عن شيخه الإمام الشّمني(ت872هـ) قوله:" الإجازة في الاصطلاح: إذن في الرّواية لفظاً أوخطّاً يفيد الإخبار الإجمالي عرفاً " [4] وفي ذلك يقول القاضي عيّاض(ت544هـ):" الإجازة إمّا مشافهة أو إذناً باللّفظ مع المغيب، يكتب ذلك بخطه أو بحضرته أو مغيبه "[5] .

وهناك من عرّفها بقوله: هي: " أن ينقل الشّيخ للطالب الإذن في التّحديث عنه وإسناد ما له من رواية مستعملاً في ذلك لفظاً من مشتقات الإجازة "[6] .

وهي بهذا المعنى شديدة الصّلة بالمعنى اللّغوي، فهي إعطاء الإذن من المجيز إلى المجاز له بالتحدّث بما له من رواية، أو إسناد.

2.2 تعريف الاستجازة (الاستدعاء)

السّين والتّاء للطلب، أي طلب الإجازة، وتسمّى(الاستدعاء) وهي: "صورة الطّلب الذي يقدّمه الرّاغب في الرّواية والسّند إلى شيخه ليكتسب شرعية الاتّصال بسنده بواسطتهم عن طريق الإجازة "[7].وقد يكون الاستدعاء لفظياً أو محرّراً، كما قد يكون نثريّاً أو شعرياً أو جامعاً بينهما، وأمّا من ناحية الطول والقصر فقد يختلف من طالب إلى آخر، فقد يكون مسهباً جدّاً، حيث يتضمّن مسائل أخرى، كالتّعريف بأساتذة الشّيخ المجيز وتاريخ مولده ونسبه، وأسماء مؤلّفاته، والتّلفظ بالإجازة في وقت كتابتها.[8]

3.انتماء النصّ الإجازي للفنون الأدبيّة :

إذا كانت الإجازة في أوّل أمرها طريقة من طرق تحمّل الرواية، فإنّها أثناء رحلتها وانتقالها إلى علوم أخرى غير علم الحديث، كرواية الكتب والدّواوين وباعتمادها شهادة علمية تمنح للطّلاب بعد اتمامهم مجالاً من مجالاتهم الدّراسية

اكتسبت صبغة أدبية من حيث أسلوبُها الذي اعتنى به العلماء، حتى صارت فنّاً من الفنون الأدبية قائماً بذاته، له قواعد كتابته الخاصّة به، وله مميّزاته الأدبية، يجمع ضمن طيّاته مجموعةً من النّصوص الأدبيّة، الشّعرية والنّثرية .

ولقد ذهب إلى أدبيّة الإجازة من القدماء أبو العبّاس أحمد القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى وصناعة الإنشا) حيث خصّص فصلاً في الباب الأوّل من المقالة العاشرة في الكتاب، للحديث عن الفنون الأدبية التي كان يكتبها الأدباء والعلماء والقضاة فقال :" الفصل الخامس من الباب الأول من المقالة العاشرة فيما يكتب عن العلماء والأدباء والقضاة ممّا جرت العادة بمراعاة النّثر المسجوع فيه، ومحاولة الفصاحة والبلاغة "[9] وذكر من ذلك الإجازات بالفتيا والتّدريس والرواية وعراضات الكتب فاعتبر الإجازات فنّاً من الفنون الأدبيّة التي كانت تجد اهتماماً بالغاً لدى العلماء والأدباء، وكأنّ هذا الفنّ يدخل ضمن قائمة أدب الخوّاص، ثمّ أشار إلى أنّ كتّاب هذا الفنّ ليسوا في مستوى واحد من الكتابة فهم متفاوتون بحسب ملكاتهم الإنشائية فيقول:" ... يأتي كل منهم بقدر ما عنده من الملكة في الإنشاء وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال ونحوها، فمن عال إلى هابط ."[10]

كما نجد الأستاذ أبا القاسم سعد الله في كتابه(تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري) قد اعتبر بعض الإجازات فنّاً من فنون النّثر الأدبي، وفي ذلك يقول:" أمّا الإجازات فقد عرفنا أنّها تتناول السّند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدّراسة، ولكنّ صيغة بعض الإجازات رغم موضوعها وثبوتها على شكل واحد تقريباً كانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي، لأنّ أصحابها كانوا من الأدباء المهرة، فيضيفون عليها طابعهم وذوقهم، وبذلك تصبح الإجازة قطعة أدبيّة من حيث الأسلوب على الأقل."[11]

أضف إلى ذلك أنّ هناك بعض الإجازات قد ضمّنها أصحابها بعضاً من سيّرهم الذاتية وحياتهم التّعليمية، ممّا يجعلها. ذات علاقة وطيدة بالأدب لا من حيث الأسلوب فقط، بل من حيث الموضوع كذلك، أمّا من حيث البناء الشكلي للإجازة والمتكوّن من المقدّمة والعرض والخاتمة فإنّها قريبة الصلة بالمقالة النّقدية .

4 : . إجازة الشيخ أحمد زروق البُداوي للشيخ أبي فارس البلبالي واستدعاؤها

للكشف عن الأجزاء التي يتكوّن منها هذا اللون الأدبي وعن جوانب من بنيته اللغوية، سنقوم بدراسة لنص إجازي شعري متكون من استدعاء وإجازة يعودان لفقيهين من فقهاء إقليم توات الجزائري، وهما الشّيخ أبو العباس أحمد زرّوق البُداوي وتلميذه الشّيخ أبو فارس محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي.

1.4 . التعريف بالمجيز: الشيخ أحمد زرُوق البُداوي (ت1245هـ /1829م)

هو الشيخ القاضي أحمد بن محمد بن موسى بن صابر البُداوي، الملقّب بـ" زرّوق" كان إماماً علّامة أخذ العلم عن الشّيخ محمد بن عبد الله الونقالي (ت1175هـ) وعن الشيخ محمد بن أحمد الزجلاوي (ت1212هـ) سافر إلى فاس وأخذ عن بعض علمائها، كالشيخ (التّاودي) فكان فقيها حافظاً وأديباً، له عدّة قصائد شعرية رجع بعد ذلك لتوات ونزل ببلدته (زاوية سيدي حيده) من قصور بودة، وبها توفي في رمضان عام 1245 / 1829م .[12]

2.4 التعريف بالمجاز:الشّيخ محمّد عبدالعزيز البلبالي (ت1261هـ/1845م)

هو الشيخ أبو فارس محمد عبد العزيز بن محمد بن عبدالرحمن البلبالي، ولد بقصر (ملوكة) من قرى تيمي سنة 1190هـ /1776م وبها نشأ فأخذ العلم عن والده أوّلاً، ثم عن الفقيه محمّد بن عبدالرحمن بن عمر التينيلاني (ت1233هـ) وهو شيخ والده كذلك وبعد حصوله على الإجازات من شيوخه جلس للتدريس بموطنه، وتخرّج على يديه جمع من الفقهاء منهم: ابنه سيد البكري(ت1284هـ)ومحمّد

المأمون البلبالي(ت1276هـ) والشّيخ أحمد الحبيب (ت1296هـ) وغيرهم تولّى القضاء بعد عجز والده، وقام مقامه في التّدريس جمع كتاب (الغنية) له عدة مكاتبات مع بعض علماء المنطقة وفقهائها، كما له عدة أشعار في أغراض متعددة توفي سنة 1261هـ/ 1845م ودفن بمسقط رأسه[13] .

3.4 نصّ الاستدعاء :

لقد طلب الشّيخ محمّد عبدالعزيز(ت1261هـ) الإجازة من شيخه أحمد زرّوق البُداوي (ت 1244هـ) باستدعاء شعري جاء نصّه كالآتي :

" بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وءاله وصحبه. طلب إجازة. هذا ما كتبه عبيد ربّه تعالى محمّد عبد العزيز بن محمّد بن عبد الرحمن البلبالي، وفّقه الله لنيل المعالي، طالبا من الفقيه الأجل الأديب البارع الحافظ الواعية، سيّدي أبي العبّاس أحمد زرّوق بن سيّدي محمّد بن موسى من ءال سيّدي يوسف بن صابر البداوي ثمّ الجعفري أن يجيز له جميع مروياته، وما أجيز فيه من أشياخه الفاسيّين والمكناسيّين وغيرهم وهو بحمد الله من الفضلاء الكرام، والذاكرين الله كثيراً بالالتزام والقائمين بالليل والنّاس نيام، مستحضراً للحديث جدّاً، الحائز في حفظه وتاريخ العلماء رفداً ..." [14] .

1". إِلَيْكَ أَبَا العَبَّاسِ أَنْحُـو وَأَذْهَبُ وَمِنْكَ أَرُومُ الوَصْلَ الذِي هُوَ أَوْجَبُ

2 . سَلَكْتَ طَرِيقاً وَاضِحاً تَطْلُبُ العُلا فَنِلْتَ مَقَاماً شَامِخَ الصَّرْحِ أَرْحَبُ

3. وَصرت مَعِينًا سَلْسَبِيلاً لِذَوْقِهَا لَـذَاذَة طَعْمٍ رَائِقٍ وَهْـوَ أَشْنَبُ

4. رَحِيق وَلَا غَولٌ[15] بهَا غَيْرَ أَنَّهَا يُهَزُّ لَهَا قَلْبُ اللّبِيبِ وَيطْــربُ"[16]

إلى قوله:

"10. أَجِزْنِي جَمِيعَ مَارَوَيْتَ عَنِ النُّهَى وَمَـا قَدْ رَوَاهُ مَـــالِكٌ ثُمَّ أَشْهَبُ

11. وَمَا قَدْ أُجِزْتَ مِن كُتْبٍ عَدِيدَةٍ بِلَا حَصْـرِهَا إِذْ ذَاكَ أَوْلَى وَأَصْوَبُ"[17]

إلى أن ختمها قائلا :

16. وَقَدْ قَالَهُ عَبْدُ العَزِيزِ مُحَمَّدٌ بِبَلْبَـلِي يُـدْعَـى إذَا كَانَ يُنسَـبُ
17. وَأنصَار خَيْرِ الخَلْقِ طُرّاً جَمِيعهِمْ بِهِمْ جَدُّهُ الأعْلىَ الكَـرِيمُ المُهَذّبُ
18. فَصَلِّ عَلَى الرُّسُلِ الكِرَامِ إلهَنَا وَمَن لَـهُ مِن فَخْـرِ المَحَبَّةِ مَشْـرَبُ
19. وَآلِه وَالأَصْحَابِ طُرّاً وَزَوْجِهِ وَمَن يَقْتَدِي بِهَدْيِهِ حِيـنَ يَرْغَـبُ ."[18]

4.4. نص الإجازة:

فردّ عليه شيخه أحمد زرّوق بإجازة شعريّة جاء في نصّها :

"1. أُحَيِّيكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ وَأطْنِبُ تَحِيَّةَ ذِي وُدٍّ مِن المِسْكِ أَطْيَبُ[الطّويل]
2. أَتَانِي قَرِيضٌ مِنكَ يَاخَيْرَ فَاضِل بِأَخْلاَقِكَ الحُسْنَى يَرُوقُ ويعذبُ
3. يُتَرْجِمُ عَن عِلْمٍ تَحَمَّلْتَ صَفْوَهُ وَيُنْبِئُ عَنْ فَهْمٍ سَدِيدٍ وَيُعْـرِبُ
4. وَلكِنَّهُ قَدْ جَاوَزَ الحَدَّ فِي الثَّنَا وَبَجَّحْتُمُونِي بِالذِي لَسْتُ أَكْسِبُ
5. وَإنّي بِسِنِّ العَنْسِ وَالقَوْس عَالِمٌ وَفي مُبْهَمَاتِ العِلْمِ جَهْلِي مُرَكَّبُ"[19]

إلى قوله :

" 10 . وَهَا أَنَا ذَا بَعْدَ اعْتِذَارٍ أَجَزْتُكُمْ إجَـازَةَ عَبْدٍ خَـائِفٍ يَتَرَقّبُ
11. تَدُورُ عَلَى المَنْقُولِ عَن سَيّدِ الوَرَى وَمَا هُوَ مَعْقُولٌ لِلأَعْلاَمِ ينُسَبُ"[20]

إلى أن ختمها بقوله:

19. وَجُودَ كَرِيمٍ ارْتَجِيهِ لِزَلَّتِـي وَأَعْظَمَ مَا يَرْجُوهُ مَن هُو مُذْنِبُ
20. وَجَاه رَسُولِ اللهِ أَفْضِلِ شَافِعٍ وَرَحْـمَتَه تُوَسِعَنِّي وَتَغْـلِبُ
21. عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُتَابِعاً لِرَوحٍ وَرَيْحَانٍ وَخَيْرِ يُصَوِّبُ"[21]

5. الدراسة :

يدخل هذا النّصُّ الإجازي ضمن الإجازات الشّعرية التي ظهرت منذ القرن الرابع الهجري حيث بدأ الطلبة يقدّمون استدعاءاتهم لمشائخهم شعرا، فتأتي في مقابل ذلك الإجازة شعرا مراعاة للمثل، وقد أفرد الخطيب البغدادي (ت463هـ) في كتابه(الكفاية) بابا عنونه بـ" ذكر الخبر عمّن نظم الإجازة شعرا " [22].

1.5 . دراسة البناء الشكلي:

تتكوّن الإجازة من واحد وعشرين بيتاً، وأمّا استدعاؤها فمن تسعة عشر بيتا فكأن الاستدعاء يمثل (المثير) والإجازة تمثل(الإستجابة) لذلك المثير، ومما يلاحظ على النّصين رغم اختلاف منشئهما فإنهما يتفقان في الوزن والقافية وحرف الرّوي فوزنهما بحر الطويل وقافيتهما مطلقة، وحرف الرّوي فيهما هو(الباء) وذلك من باب المماثلة بين النّصين كما هو الشأن في باب (النقائض الشعرية) إلا أنه في باب النقائض نجد النَّص الثّاني يسعى لهدم النَّصّ الأول والقيام على أنقاضه، وأما في النَّصَ الإجازي فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية .

ويتكون النّص الإجازي غالبا من أجزاء ثلاثة يشتمل كل جزء منها على فكرة واحدة أو أفكار متعددة، تساهم كلها في بناء النص الإجازي بطرفيه الاستدعاء والإجازة ويستوي في ذلك النّص الإجازي الشّعري أو النّثري وهي :

1.1.5. الافتتاحية (المقدّمة) :

تكون موضوعة الافتتاحية في أغلب النُّصوص الإجازية البسملة أو الحمدلة مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلّم كما هو واضح في بداية الاستدعاء " بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه " امتثالا لما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع)[23] .

كما يأتي في المقدمة اسم المجيز في نص الاستدعاء ويقابله اسم المجاز في نص الإجازة، فقد أورد المستجيز اسم مجيزه مرتين، مرة في المقدمة النّثرية بذكر كنيته واسمه ونسبه ومقر ولادته، مع مجموعة من أوصاف التبجيل والاحترام كعادة النثار القدماء فيقول" ... طالبا من الفقيه الأجل الأديب البارع الحافظ الواعية، سيّدي أبي العبّاس أحمد زرّوق بن سيّدي محمّد بن موسى من ءال سيّدي يوسف ابن صابر البداوي ثمّ الجعفري " ومرة في المقدمة الشّعرية، لكنه اقتصر فيها على الكنية فقال :

1. إِلَيْكَ أَبَا العَبَّاسِ أَنْحُـو وَأَذْهَبُ

ويقابله المجيز بذكر اسم المستجيز مع التحيّة قائلا :

1. أُحَيِّيكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ وَأَطْنِب تَحِيَّةَ ذِي وُدٍّ مِن المِسْكِ أَطْيَبُ

وعليه فإن ذكر اسم المستجيز والمجاز موضوعة من الموضوعات التي تبنى عليها مقدمات النّص الإجازي، وغالبا ما تكون مصاحبة لموضوعة أخرى وهي موضوعة المدح والإطراء . كقول المستجيز محمد عبد العزيز مادحا شيخه قائلا :

7. فَهَرْوِلْ لَهُ تَحْظَى بِفَضْلِ شَرَابِهِ لِشَيْخٍ صَبَا فِي العَدْل وَالآنَ أَشْيَبُ

ويقابله المجيز أحمد زرّوق كذلك بموضوعة مدحيّة فيقول :

2. أَتَانِي قَرِيضٌ مِنكَ يَا خَيْرَ فَاضِل بِأَخْلاَقِكَ الحُسْنَى يَرُوقُ ويعذبُ
3. يُتَرْجِمُ عَن عِلْمٍ تَحَمَّلْتَ صَفْوَهُ وَيُنْبِئُ عَنْ فَهْمٍ سَدِيدٍ وَيُعْـرِبُ .

2.1.5. العرض :

يتناول العرض في النَص الإجازي مجموعة من الموضوعات، أهمّها الموضوعة النّواة في كل من الاستدعاء والإجازة، ففي الاستدعاء نجد طلب الإجازة مع إلحاح بعضهم في طلبه إلحاحا يستدعي فيه نصأ قرآنيا أو مثلا عربيّا أو بيتا شعريّا، مستعطفا المستجاز حتى لا يردّ طلبه مع ذكر المرويّات أو الكتب التي يريد

المستجيز أن يجاز فيها، ويكون الطلب صريحا بلفظ (الإجازة) أو بأحد مشتقاتها كما هو الحال بالنسبة لاستدعاء محمد عبد العزيز حيث يقول :

10. أَجِزْنِي جَمِيعَ مَا رَوَيْتَ عَنِ النُّهَى وَمَا قَدْ رَوَاهُ مَالِكٌ ثُمَّ أَشْهَبُ

ويقابل هذه الموضوعة في نصّ الإجازة موضوعة التَّصريح بالإجازة والإذن في الرّواية أو غيرها بصيغة الإجازة أو بلفظ من مشتقاتها، فيكون الجواب من جنس الطلب على جهة التّوافق بين النّصَّين، وهذا ما نجده في نصّ إجازة الشيخ أحمد زرّوق إذ يقول :

10 . وَهَا أَنَا ذَا بَعْدَ اعْتِذَارٍ أَجَزْتُكُمْ إجَازَةَ عَبْدٍ خَائِفٍ يَتَرَقَّبُ

ويلاحظ من باب التّوافق بين النّصين ـ الاستدعاء والإجازة ـ أن كلاّ من موضوعة طلب الإجازة وموضوعة الإجازة وردتا في البيت العاشر من كل نصّ.

وهناك موضوعات أخرى متعددة ترد في العرض مصاحبة للموضوعة النّواة ما بين سابقة عليها ولاحقة لها، كالحديث عن أهميّة السَّند وفضل طلبه والاتصال به وذكر فضل العلم وطلبه، فمن الموضوعات السابقة في نصّ الاستدعاء إطراء العلوم التي تحصل عليها الشيخ من شيوخه والتي يطمح المستجيز للنهل منها، والإذن له في روايتها فيقول :

2 . سَلَكْتَ طَرِيقاً وَاضِحاً تَطْلُبُ العُلا فَنِلْتَ مَقَاماً شَامِخَ الصَّرْحِ أَرْحَبُ

3. وَصرت مَعِينًا سَلْسَبِيلاً لِذَوْقِهَا لَذَاذَة طَعْمٍ رَائِقٍ وَهْوَ أَشْنَبُ ...

فقد وصف المرويّات بالشَّهد والرَّحيق العذب الذي يهزُّ قلب اللَّبيب عند شربه مشبّها إيّاه بماء من معين الجنّة، وبالثّمار اللّذيذة الطيّبة، و نجد مقابلها في نصّ الإجازة موضوعة التّواضع من المجيز وهي كذلك من الموضوعات السّابقة للموضوعة النّواة فيقابل ذلك الإطراء بالتّواضع فيقول:

4. وَلكِنَّهُ قَدْ جَاوَزَ الحَدَّ فِي الثَّنَا وَبَجَّحْتُمُونِي بِالذِي لَسْتُ أَكْسِبُ

5. وَإِنّي بِسِنِّ العَنْسِ وَالقَوْس عَالِمٌ وَفي مُبْهَمَاتِ العِلْمِ جَهْلِي مُرَكَّبُ

ومن الموضوعات اللّاحقة المباشرة ـ في أغلب الإجازات ـ لموضوعة الإجازة موضوعة الشرط حيث نجد الشّيخ يقرن الإذن بالإجازة بشروط يجب على التلميذ ملازمتها كتقوى الله في السّرّ والعلن، والإخلاص في القول والفعل، وهذا ما صرّح به صاحب الإجازة بعد الإذن لتلميذه بالرّواية عنه فقال:

13. بِشَرْطِ اتّقَاءِ اللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ و فِي كُلِّ قَوْلٍ تَلْفَظَنّـهُ فَيُكْتَبُ

كما أعقبها الشيخ بموضوعة الوصيّة وهي من باب النّصح والإرشاد، حيث وصّاه بتلاوة سورة العصر فقال:

14. وَكُن تالِياً وَالعَصْرِ واعْمَلْ بِحُكْمِهَا فَلِلّهِ قَوْمٌ بِالكِتَابِ تَـأَدَّبُوْاْ

15. مَتَى مَا التَقَىَ الاثْنَانِ مِن صَحْبِ أَحمَد تَوَاصَواْ بِهَا عَهْدٌ لَدَيْهِمْ وَمَذْهَبُ

ومن الموضوعات التي ترد في عرض النَّصّ الإجازي موضوعة طلب الدعاء وهي توجد في طرفيه ـ الاستدعاء والإجازة . فمثلا المستجيز محمد عبد العزيز في نص الاستدعاء يطلب من شيخة دعوة صالحة بعد الإجازة تدركه في الدّنيا والآخرة، كما يسأله الدعاء له ولجميع المومنين وللأقربين له من الأولاد والأهل فيقول:

12. وَأَطْلُبُ مِنْكَ بَعْدَ صَالِحِ دَعْوَةٍ بِوَقْتٍ بِهَا المَوْلَى يُجِيـبُ ويَرْغَبُ...

15. أَنَا وَجَمِيعَ المُومِنِينَ وَأَوْلادِي وَمَن لَهُ مِن قُرْبِـي حَظِيـظٌ وَمَنصِبُ

وفي نفس السياق يقابله الشّيخ المجيز بموضوعة من جنسها فيقول:

17. وَكُنْ دَاعِياً لِي بِالخَلاَصِ وَرَحْمَةٍ مِنْ اللهِ فِي نَعْمَـائِهَا اتَقَلَّبُ ...

3.1.5. الخاتمة :

تُعتبر الخاتمةُ البنيةَ النهائية في النّصّ الإجازي، لكنّها تختلف من نصّ إلى آخر ومن كاتب إلى كاتب، لكنّها في الغالب تكون بالتّوقيع بذكر اسم الكاتب أو بالصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بهما معا، أو بالرجاء في حصول

أمر مرغوب فيه ففي الاستدعاء جُمِع بين التوقيع وبين الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صاحبه :

16. وَقَدْ قَالَهُ عَبْدُ العَزِيزِ مُحَمَّدٌ بِبَلْبَـلِي يُـدْعَـى إذَا كَانَ يُنسَـبُ ...

18. فَصَلِّ عَلَى الرُّسُلِ الكِرَامِ إلهَنَا وَمَن لَـهُ مِن فَخْـرِ المَحَبَّةِ مَشْـرَبُ

وأمّا الشّيخ المجيز فقد قرن في خاتمة نصّه الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالرجاء فقال:

19. وَجُودَ كَرِيمٍ ارْتَجِيهِ لِزَلَّتِـي وَأَعْظَمَ مَا يَرْجُوهُ مَن هُو مُذْنِبُ

20. وَجَاه رَسُولِ اللهِ أَفْضَلِ شَافِعٍ وَرَحْـمَته تُوَسِعَنِّي وَتَغْـلِبُ ...

وهكذا من خلال الدارسة الشكلية للنّصّ الإجازي نلاحظ أنه يتكون من عناصر أساسية وهي المقدّمة والعرض والخاتمة، يندرج تحت كل عنصر منها مجموعة من الموضوعات ، وسواء في ذلك النّصّ الإجازي النّثري أو الشّعري، وكأنه جنس من المقال النقدي وظيفته تأهيل شخص أو جماعة لتحمّل علم من العلوم أو للكفاءة لتحمّل وظيفة من الوظائف .

2.5. البناء اللّغوي في النّص الإجازي :

يتميّز النّصّ الإجازي غالبا بالبساطة والسّهولة بعيدا عن الإغراب والتّعقيد حتى يتسنى له أداء وظيفته الأساسيّة، فلا تكاد تخلو بنيته اللغوية من استدعاء مجموعة من الرّوافد التراثية التي أسهمت في ترقية أسلوبه، وإيضاح فكرته أتم إيضاح، كما تعدّ عنصرا أساسيا في إلحاق بعض نصوصه ضمن دائرة الأجناس الأدبية، وهي روافد متعددة كالنّص القرآني والحديث النّبوي والشّعر العربي والحكم والأمثال ونص الأثر وغيرها، وسبب كثافة تلك الروافد في النّصّ الإجازي هو أن كتّابه " كانوا شديدي الإعجاب بالتراث الأدبي القديم، فكانوا يدمنون قراءته ويحفظون منه الكثير فلا يلبث هذا المحفوظ أن يسيل على أقلامهم فإذا آثاره بادية بارزة في ماكتبوا "[24]

ومن تلك الرّوافد الملاحظة في النّصّ المدروس، الشّعر العربي القديم، وبما أن النّص الإجازي هو شعر كذلك فيطلق على ذلك (التّضمين) في البلاغة العربيّة القديمة و(التّناص) في المصطلح النّقدي الحديث، وذلك في قول الشّيخ المجيز:

7. نَسَبْتَ المُعَلّى لِلْمَعَالِي وَمَاحَوىَ سهِاَمَ المَعَالِي بَلْ لِغَفْلٍ يذَبْذِبُ

فهو هنا يعبر عن تواضعه بإشارة إلى بيتين شعريين يستشهد بهما كثيرا كتاب الإجازة النّثريّة وهما:

لَعَمْرُ أَبيكَ مَا نُسِبَ المُعلّى إلى كرم وفي الدُّنيا كريمُ (الوافر)

ولكنّ البلاد إذا اقشعرّت وصوّت نبتُها رُعي الهشيمُ .[25]

كما لا تكاد تخلوا أساليب النّصّ الإجازي من الاعتماد على أنواع البيان والمعاني وألوان البديع، فمن الصّور البيانية الواضحة في النّص الإجازي التشبيه بشتى أنواعه ومنه تشبيه المستجيز محمد عبد العزيز المرويات بالرحيق والثمار فقال:

4 . رَحِيق وَلَا غَولٌ بهَا غَيْرَ أَنَّهَا يُهَزُّ لَهَا قَلْبُ اللّبِيبِ وَيطْــربُ

5. ثِمَـارٌ لَهَا زَهْرٌ يَفُوحُ لِفَتْقِهِ وأُكْلَتُهَا أَحْلى مَـذَاقاً وَأَطْيَــبُ .

وكذلك الكناية في قول المجيز: " ...وَإِنّي بِهَا فِي غَيْرِ حَبْلِيَ أحطـبُ " يريد عدم كفاءته لإعطاء الإجازة على وجه التواضع .

وأما ألوان البديع رغم وجودها في النّصّ إلا أنّها عفوية وغير متكلفة، ومن ذلك الجناس النّاقص بين كلمتي (أطْنِبُ)و(أَطْيَبُ) في قول المجيز في بداية الإجازة وهما في نفس الوقت يشكلان ظاهرة بديعية في البيت الشّعري وهي ظاهرة(التصريع) التي تقابل(السجع) في النّصوص الإجازيّة النّثرية، تلك الظّاهرة التي تعتمد عليها كثيرا، حالها في ذلك حال النّثر العربي القديم كما هو جلي في المقدّمة النثرية لنص الاستدعاء كقوله:" والذاكرين الله كثيراً بالالتزام، والقائمين بالليل والنّاس نيام مستحضراً للحديث جدّاً، الحائز في حفظه وتاريخ العلماء رفداً " .

ومن الظواهر البديعيّة التي ختم بها نّصّ الإجازة ظاهرة (الاقتباس) من النّص القرآني وذلك في قوله: " كرَوح وريحان " من البيت الأخير، فهي اقتباس من قول الله تعالى " ... وروح وريحان وجنّة نعيم "[26] .

6. خاتمة:

وبناءً على ما تقدّم فإن من بين النّصوص الإجازية نوعا يعد من أنواع الكتابة الأدبية، منه ماهو في قالب نثري ـ وهو الغالب ـ ومنه ما هو شعري يسعى كاتبه إلى إضفاء الأهلية على شخص أو أشخاص بعد طلب ذلك لتحمّل علم من العلوم أو التّصدر لأداء وظيفة من الوظائف، يشتمل على روافد أدبية، وأساليب بيانية وبديعيّة ساهمت في رقي أسلوبه وإيضاح فكرته، حتى يأدي وظيفته الإبلاغية الأساسية، فهو بذلك خطاب أدبي يمكن أن نقيم عليه دراسات نقدية، أو بلاغية أو أسلوبية، شأنه في ذلك شأن باقي الخطابات المنتمية للحقل الأدبي، سواء منها الشعرية أو النثرية .

7. المراجع :

(1) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت . مادة جوز،ج1، ص494.

(2) ابن الصلاح: أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، علوم الحديث، المعروف بالمقدّمة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دع، 1406هـ . 1986م، ص164.

(3) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة :ج1، ص494.

(4) . السيوطي: أبوبكر جلال الدّين : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1417هـ/1996م ، ج2 ص19 .

(5) القاضي عياض بن موسى اليحصبي: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع دار التراث، القاهرة ط1 ، 1389 هـ/1970م ، ص121 .

(6) عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب منذ النّشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة (منهجيتها. تطورها. قيمتها العلمية) جامعة عبد الملك السعدي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بتطوان ، المغرب ، ط1 ، 1420 هـ/1999م ، ص 70.

(7) المرجع السابق : ص 50 .

(8) ينظر: عبد الواحد طه ذنونه: الإجازات العلمية الموقعة على مخطوطات التراث العربي: بحث ، مقدم الى مؤتمر المخطوطات الموقعة تنظيم مكتبة الإسكندريّة، مصر، 28.26 ابريل 2005، ص17.

9أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى وصناعة الإنشا ، دار الكتب المصرية القاهرة ، د . ع ، 1340 هـ/1922م ، ج14، ص322 .

(10) ينظر: المرجع نفسه ، ج 14، 327 .

(11) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 ، 1985 ، ج2 ، ص 190 .

12ينظر: محمد عبد العزيز سيدي عمر: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هومة للنشر، الجزائر 2002. ص58،77. ومحمد عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف التنلاني : الدّرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف، مخطوط ، خزانة مولاي سليمان بن علي بأدغاغ ص 5 .

13ينظر : محمد عبدالعزيز سيدي عمر: قطف الزهرات، ص47. و أحمد بن محمد بن حسان، الشجرة المرجانية في التعريف بالعائلة البلبالية، دار هومة الجزائر، 2010، ص127.

14أحمد جعفري: الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، أطروحة دكتوراه في الأدب إشراف محمّد رمزي ، قسم اللغة العربية وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 1428/1427هـ /2007/2006 . صورة مخطوط قصيدة سيدي عبد العزيز بن عبد الرحمن في طلب الإجازة ، الملاحق .

(15) الغول : ما ينشأ عن الخمر من صداع وسكر قال تعالى: { لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ} الآية 47 من سورة الصّافات .(ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم البسيط باب الغين ،ج 2 ص 666) .

محمّد عبدالعزيز سيدي عمر: قطف الزّهرات من أخبار علماء توات، ص 55. 56 . (16) المرجع نفسه : ص 55، 56. 17

(18) المرجع نفسه : ص 55. 56 .

19 المرجع نفسه : ص 55. 56 .

20المرجع نفسه : ص 55. 56 .

(21) المرجع نفسه ص 55. 58.

(22) أبو بكر بن علي، المعروف بالخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، تح: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1405ه /1975م ، ص 350.

(23) راه النّسائي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه في باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة رقم 10328.

(24) عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 245.

(25) البيتان من شعر أبي علي البصير (ت251ه) وينسبان أيضا لدعبل الخزاعي قالهما في المعلى بن أيوب صاحب العرض والجيش إيّام المأمون .(ينظر: الفضل بن جعفر الكاتب : ديوان أبي علي البصير ، صنعة وتحقيق : يونس أحمد السّامرّائي ، دار المواهب للطّباعة والنّشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1419ه /1999م ، ص 36 .

(26) . الآية 89 من سورة الواقعة .